مريم الغنوية

كانت مريم الغنوية من قبيلة غنى

وكانت إحدى جوارى كسرى أنوشروان

* المسلمون يدخلون المدائن

كان كسرى وملوك الفرس يتخذون المدائن مقرا لملكهم وتسمى عندهم : **اكتيزيغون**

وسماها العرب المدائن لأنها كانت سبع مدائن يقع بعضها فى غربى دجلة وبعضها الآخر شرقه

ولما علم كسرى بهزيمة جيشه فى القادسية وأن سعد بن أبى وقاص يتقدم بجيش المسلمين نحو بابل أخذ كسرى أهله وما قدروا عليه من الأموال والأمتعة والخواص وتركوا ما عجزوا عنه من الأنعام والثياب والمتاع والآنية والألطاف والأدهان ما لا يدرى قيمته ، وكان فى خزائن كسرى ثلاثة آلاف ألف دينار فأخذوا من ذلك ما قدروا عليه وتركوا ما عجزوا عنه وهو مقدار النصف من ذلك أو ما يقاربه

وكانت مريم وزوجها وبعض الجوارى والعبيد من الذين تركهم كسرى

ولما جاء سعد بن أبى وقاص بالجيش دعا أهل القصر الأبيض ثلاثة أيام على لسان سلمان الفارسى ، فلما كان اليوم الثالث نزلت مريم وزوجها ومن معها من القصر الأبيض فاتخذ سعد إيوان كسرى مصلى وجمع سعد بن أبى وقاص صلاة الجمعة بالإيوان فى صفر من سنة ست عشرة من الهجرة فكانت أول يوم جمعة بالعراق

وأسلم بعض الأعاجم وظل البعض يعبد النار على أن يؤدوا الجزية فقامت مريم وزوجها بدفعها

* موكب النور

فى اليوم الثانى عشر من شهر ربيع الأول خرج المسلمون إلى الميادين فرحين وراحوا يصلون و . .

فتساءلت مريم الغنوية :

ـ ما هذا ؟ هل هذا يوم عيد عند المسلمين ؟

قال رجل من الأعاجم :

ـ إنه عيد وليس عيد

فقال زوج مريم :

ـ ماذا تعنى ؟

قال الأعجمى :

ـ إنهم يزعمون ويدعون أن فى مثل هذا اليوم منذ تسع وستين سنة ولد نبيهم ـ ولد فى عام الفيل ـ قالت مريم الغنوية :

ـ كل ذلك من أجل مولد إنسان . . لقد كان الأعاجم لا يحتفلون بميلاد كسرى هكذا

وعادت مريم تفكر . . ما معنى نبى ؟

ووجدت مريم الغنوية نفسها أمام سلمان الفارسى فهتفت :

ـ يا سلمان : لقد رأيت اليوم عجبا

قال سلمان الفارسى :

ـ وماذا رأيت يا أمة الله ؟

قالت مريم :

ـ رأيت المسلمين يخرجون وكأنهم يحتفلون بيوم عيد

تبسم سلمان الفارسى وقال :

ـ نعم إننا نحتفل بمولد النبى الخاتم ﷺ

فتساءلت مريم الغنوية :

ـ ما معنى النبى الخاتم ؟

قال سلمان الفارسى :

ـ النبى هو الذى يأتيه الخبر من السماء ، والخاتم أى خاتم الأنبياء الذى لا نبى بعده

قالت مريم :

ـ وهل تكلم السماء انسانا ؟

قال سلمان الفارسى :

ـ نعم لقد كلم الله موسى بن عمران عليه السلام تكليما ، ولقد حاربنا كسرى ليس بعدد ولا عدة ولكن حاربناه بالإيمان والعقيدة

فقالت مريم :

ـ ما الإسلام ؟

قال سلمان :

ـ أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك

قالت مريم :

ـ ما الإيمان ؟

قال سلمان الفارسى :

ـ أن يؤمن المرؤ بالله واليوم الآخر والقدر خيره وشره و . .

قالت مريم الغنوية :

ـ الله . . ؟ اليوم الآخر . . ؟

obeikandl.com

قال سلمان :

ـ نعم الله الواحد الأحد الذى خلق السموات والأرض

قالت مريم :

ـ أين هو ؟ إننا لا نراه

قال سلمان الفارسى :

ـ ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِير ﴾ [سورة الأنعام الآية : ١٠٣] .

فقالت مريم :

ـ واليوم الآخر ؟

قال سلمان الفارسى :

ـ يوم البعث والحساب فإما إلى جنة ونعيم دائم أو إلى نار وعذاب أليم

قالت مريم :

ـ وهل إذا متنا وكنا عظاما أإننا نبعث . من جديد ؟

قال سلمان :

ـ إى والله

وجاءهما صوت زوجها :

ـ من زعم هذا ؟

نظر سلمان الفارسى نحو زوج مريم وقال :

ـ أخبرنا هذا الذى يأتيه الوحى من السماء ﷺ الذى احتفلنا بمولده اليوم

قالت مريم :

obeikandl.com

ـ هل كلمه ربه وأخبره أن . . ؟

قال سلمان الفارسى :

ـ أنزل السميع البصير كتابا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه

قال زوج مريم :

ـ هل معك شىء مما جاء فى هذا الكتاب ؟

قال سلمان :

ـ نعم بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [سورة المائدة الآية : ١٥ ، ١٦] .

قالت مريم الغنوية :

ـ ما معنى ﴿ نُور ﴾ ، وما معنى ﴿ كِتَابٌ مُّبِين ﴾ ؟

قال سلمان الفارسى :

ـ نور أى ضياء

وقيل :

الإسلام

وقيل :

محمد ﷺ

﴿ وَكِتَابٌ مُّبِين ﴾ أى القرآن فإنه بين الأحكام الحلال والحرام و . .

قال زوج مريم :

﴿ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّور ﴾

قال سلمان الفارسى :

أى يخرج الناس من ظلمات الكفر والجهالات إلى نور الإسلام والهدايات

تبادلت مريم وزوجها النظرات . . ثم تركا سلمان الفارسى الذى ارتسمت على شفتيه بسمة ذات معنى

ونامت مريم الغنوية فى تلك الليلة فرأت رؤيا . . رأت موكبا نورانيا ، فاقتربت من هذا الموكب وتساءلت :

ـ هل عاد كسرى ؟

قال رجل يرتدى ثوبا أبيض :

ـ لا هذا موكب حبيب الرحمن محمد بن عبد الله ﷺ

فهتفت مريم :

ـ النبى الخاتم ؟

قال الرجل :

ـ نعم

فقالت مريم الغنوية :

ـ ومن أنت ؟

قال الرجل :

ـ أنا معاذ بن جبل صاحب رسول الله ﷺ

قالت مريم الغنوية :

ـ يا صاحب حبيب الرحمن : هل إذا جئت محمدا يقبلنى ؟

قل معاذ بن جبل :

ـ نعم ، وإذا قلت : يا رسول الله : جاءك هو

ووجدت مريم الغنوية نفسها تهتف وكأنها تستغيث بأبى القاسم ﷺ :

obeikandl.com

ـ يا رسول الله : يا حبيب الله

وجاءها صوت كأنه قطرة ماء عذب بارد فى يوم قائظ على شفتى ظامئ :

ـ لبيك . . لبيك

ووجدت نفسها أمام رجل وجهه كالقمر ليلة الرابع عشر يفوح المسك من حوله

قالت مريم الغنوية :

ـ ماذا أقول حتى أكون من أصحابك ؟

قال السراج المنير ﷺ :

ـ قولى : أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

ووجدت مريم الغنوية نفسها تقول :

ـ أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله

ثم مضى الموكب النورانى العطرى

وأحست مريم الغنوية أنها كانت تائهة فى ظلمات ليلة شاتية مطيرة باردة موحلة فبرز القمر فجأة بعد أن رددت كلمات خاتم الأنبياء ﷺ

انتبهت مريم الغنوية من نومها فوجدت الدموع تغمر وجهها وقلبها وبقايا نور الظلمة ﷺ يملأ حجرتها والمسك يفوح منها . .

لعقت مريم شفتيها بطرف لسانها . . ما زالت حلاوة كلمات حبيب الرحمن ﷺ على لسانها ؟

تلفتت حولها فلم تجد زوجها ، أين ذهب ؟ لابد أن تروى له هذه الرؤيا ، هل ابتدأها سلمان الفارس بحديثه معهما وختمها النبى الخاتم ﷺ معها ؟

قامت مريم الغنوية وراحت تبحث عن زوجها فى أنحاء الدار ، لابد أن تجده ، وتحدثه عن تلك الرؤيا أسرعت مريم نحو باب الدار ، وقبل أن تمتد يدها نحو الباب

فتح الباب ووجدت زوجها أمامها وعلى شفتيه بسمة كبسمة سلمان الفارسى عندما انتهى من حديثه معهما ، ما سر هذه البسمة ؟

قالت مريم :

ـ لقد رأيت رؤيا

زادت بسمة زوجها اتساعا حتى غطت وجهه وقال فى هدوء :

ـ لقد رأيتها أنا أيضا . . لم أصدق أذنى عندما قلت لصاحب الموكب النورانى : يا رسول الله : أقبل نحوى وهو يقول : لبيك لبيك ، ما زالت كلماته تتسلل إلى صدرى كضوء القمر قال لى قل : أشهد أن لا إلـه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله

قالت مريم الغنوية :

ـ هل قابلت صاحبه معاذ بن جبل ؟

قال الزوج :

ـ لا . . قابلت خادمه أنس بن مالك

هتفت مريم وزوجها من أعمق أعماقهما :

ـ الحمد لله الذى هدانا إلى الإسلام

* مع خادم رسول الله ﷺ

سأل زوج مريم عن أنس بن مالك فقيل له :

ـ إن خادم رسول الله ﷺ يعيش فى البصرة

فانطلق زوج مريم وأولاده إلى البصرة ، فلما أتوا خادم رسول الله ﷺ روى زوج مريم الرؤيا التى رآها وزوجه فقال خادم رسول الله ﷺ :

قال رسول الله ﷺ : من رآنى فى المنام فكأنما رآنى فى اليقظة ، فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بى (رواه الطبرانى فى المعجم الكبير) .

وقدم خادم رسول الله ﷺ مصحفا إلى زوج مريم الغنوية فخطفته من زوجها وضمته إلى صدرها وقالت :

ـ نذرت لله إذا حفظت القرآن ألا تكلم إلا به وأن أحج كل عام وأزور قبر حبيبى ﷺ قال أنس بن مالك :

قال ﷺ :

ـ من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين [أخرجه الترمذى كتاب العلم باب إذا أراد الله بعبد خيرا ، والإمام أحمد وابن ماجه] .

فقال زوج مريم الغنوية :

ـ لذلك أسرعت إليك أنا وزوجتى وأولادى لتعلمنا شرائع الدين

وعلمهم خادم رسول الله ﷺ الوضوء وقال :

قال أبو القاسم ﷺ : الطهور ثلاثا ومسح الرأس واحدة (رواه الديلمى فى مسند الفردوس) .

وطلب أنس بن مالك ماء وقال :

سأتوضأ لكم وضوء رسول الله ﷺ

ثم قال أنس : قال : رسول الله ﷺ :

الطهور شطر ـ نصف ـ الإيمان ، والحمد لله تملأ الميزان ، وسبحان الله والحمد لله تملآن ما بين السماء والأرض ، والصلاة نور ، والصدقة برهان ، والصبر ضياء ، والقرآن حجة لك أو عليك ، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها (أخرجه مسلم كتاب الطهارة باب فضل الوضوء ، والإمام أحمد وابن ماجه) .

* فى مكة

يقول عبد الله الواسطى :

دخلت المسجد الحرام ذات ضحى فوجدت فيه امرأة تقرأ كتاب الله عن ظهر قلب فقلت :

ـ السلام عليك يا أمة الله

قالت :

﴿ سَلامٌ قَوْلاً مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴾ [سورة يس الآية : ٥٨] .

فتساءلت :

ـ ما اسمك ؟

قالت :

﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ ﴾ [سورة مريم الآية : ١٦] .

فقلت :

ـ ما الذى جاء بك إلى هذا المكان ؟

قالت:

ـ ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ [سورة آل عمران الآية :٩٧].

فعدت أتساءل :

ـ أمتزوجة أنت ؟

قالت :

ـ ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُم ﴾ [سورة المائدة الآية:١٠١] .

فقلت :

ـ ألك أولاد ؟

قالت :

obeikandi.com

ـ ﴿ وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾ [سورة الشورى الآية : ٤٩] .

فقلت :

ـ ما أسماؤهم ؟

قالت :

ـ ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى ﴾ [سورة مريم الآية : ٥١] ، ﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ ﴾ [سورة ص الآية : ٢٦] ، ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة مريم الآية : ٤١] .

قلت :

ـ أتريدين أن تركبى ناقتى ؟

قالت :

ـ ﴿ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴾ [سورة البقرة الآية : ٢٧٣] .

ولما أرادت أن تركب الناقة قالت :

ـ ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ [سورة النور الآية : ٣٠] .

ولما ركبت الناقة قالت :

ـ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴾ [سورة الزخرف الآية : ١٣] .

فلما أرادت النزول قالت :

ـ ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ [سورة المؤمنون الآية : ٢٩] .

فلما استقر بها المقام قلت لها :

ـ أتريدين طعاما ؟

قالت مريم الغنوية :

ـ ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا ﴾ [سورة مريم الآية : ٢٦] .

obeikandl.com

فلما غابت الشمس جاءها أبناؤها فقالت لهم :

ـ ﴿ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّف ﴾ [سورة الكهف الآية : ١٩] .

فلما أذن المؤذن لصلاة المغرب تناولت تمرة وقالت :

ـ الحمد لله الذى أعاننى فصمت ورزقنى فأفطرت

وبعد أن تناولت طعامها واصلت قراءتها

فقال عبد الله الواسطى :

قال رسول الله ﷺ : أهل القرآن أهل الله وخاصته [رواه أبو القاسم بن بدر] .

* فى عرفات

قال أحد العارفين :

رأيت امرأة عند جبل الرحمة بعرفات وهى تقول :

ـ ﴿ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴾ [سورة الزمر الآية : ٣٦ ـ ٣٧] .

فعلمت أنها ضالة فقلت :

ـ أيتها المرأة : من أين أقبلت ؟

قالت مريم الغنوية :

ـ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَا ﴾ [سورة الإسراء الآية : ١] .

فعلمت أنها من بيت المقدس فقلت :

ـ ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

قالت :

ـ ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا ﴾ [سورة آل عمران الآية :٩٧].

فقلت :

ـ إنك فى مكان منقطع بلا معين ولا رفيق

قالت مريم الغنوية :

ـ ﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ .

فقلت :

ـ أما تستوحشى فى هذا المكان ؟

قالت مريم :

ـ ﴿ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوب ﴾ ؟ [سورة الرعد الآية : ٢٨] .

فقلت :

ـ من أين تأكلين ؟

قالت :

ـ ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ [سورة الذاريات الآية : ٢٢] . ﴿ وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [سورة هود الآية : ٦] .

قلت :

ـ أسألك الدعاء

قالت مريم الغنوية :

ـ ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُم ﴾ [سورة غافر الآية : ٦٠] .

ثم قالت :

ـ حجب الله طرفك عن معصيته ، وملأ قلبك بخشيته ، وجعلك من الذاكرين

obeikandl.com

له، المقربين إليه .

* هذا مقامى بين يديك

بعد أن صلت مريم الغنوية العشاء قامت على جبل الرحمة بعرفات وشدت عليها درعها وخمارها ثم قالت :

إلهى :

قد غارت النجوم ونامت العيون ، وغلقت الملوك أبوابها ، وخلا كل حبيب بحبيبه وهذا مقامى بين يديك

ثم تقبل على صلاتها تقرأ سورة البقرة فى الركعة الأولى وسورة آل عمران فى الركعة الثانية

فإذا طلع الفجر قالت :

إلهى :

هذا الليل قد أدبر وهذا النهار قد أسفر ، أقبلت ليلتى منى فأهنأ ؟ أم رددتها فأعزى ؟

وعزتك وجلالك لو انتهرتنى عن بابك ما برحته ، لما وقع فى نفسى من جودك وكرمك

* وفاة مريم الغنوية

ذات يوم رجعت مريم الغنوية إلى البصرة بعد أن صلت فى المسجد الأقصى والمسجد الحرام

وذات ليلة سألها زوجها :

ـ مالى أراك قد أصابك شىء من الحزن ؟

قالت مريم الغنوية :

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة ق الآية : ١٩] .

ولما ماتت صلى عليها زوجها

ثم رآها فى المنام فقال لها :

ـ يا مريم : كيف حال عرضك على الله عز وجل ؟

قالت مريم الغنوية :

ـ ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾ [سورة القمر الآية: ٥٤ ـ ٥٥] .

obeikandl.com